

مفاهيم ديمقراطية ليبرالية: المفهوم الفردي، المفهوم الجمهوري والمفهوم المتعدد الثقافات

تعلمنا في فصل الفكرة الديمقراطية أن الديمقراطية هي وجهة النظر التي تؤكد حكم الشعب ومبدأ سيادة الشعب كمصدر للصلاحيات. تضع الديمقراطية الليبرالية الإنسان في المركز، أي أنها تضع في سلم أولويتها الاهتمام بحماية حقوقه. يُطرح في هذا السياق السؤال: ما هي الطريقة الأنسب لتحقيق "حقوق الإنسان ومنفعته: عندما تتعامل معه الدولة ك فرد؛ وتتعامل معه كجزء من المجموع القومي الثقافي؛ وتعتبره أيضا عضوا في مجموعة ثقافية منفردة.

قم بأعمالك بحيث تشكل الإنسانية التي فيك وفي كل إنسان آخر غاية دون أن تكون وسيلة فحسب"
(لعمנואל كمانت، הנחת יסוד למטפיזיקה של המידות, ירושלים: האוניברסיטה העברית, מאגנס, תש"י)

سنتعرف في هذا الفصل على ثلاثة مفاهيم للديمقراطية: المفهوم الليبرالي الفردي، المفهوم الليبرالي الجمهوري والمفهوم الليبرالي المتعدد الثقافات. تقدّم لنا هذه المفاهيم الثلاثة إجابة مختلفة عن السؤال المركزي:

في أي مفهوم ديمقراطي يحقق الإنسان قدراته وحقوقه، حرياته وكفاءاته بأفضل صورة ممكنة؟؛ أو بعبارة أخرى: أي نوع من الدول الديمقراطية يطبق حقوق الإنسان ومنفعته بأفضل صورة ممكنة؟

إن المفاهيم الديمقراطية الثلاثة التي سنتعرف عليها هي مفاهيم نظرية تتناول العلاقة بين الدولة والمواطن، حيث تقوم دول كثيرة بدمج أنماط سلوكية وإدارية تشمل المفاهيم الثلاثة.

كما سنجيب عن الأسئلة التالية:

ما هي أوجه الشبه والاختلاف بين مختلف المفاهيم الديمقراطية الليبرالية؟

ما العلاقة بين نوع القومية ونوع المفهوم الديمقراطي؟

ما هي الانتقادات الموجهة لكل واحد من المفاهيم الديمقراطية الليبرالية؟

ما هي أوجه الشبه بين المفاهيم الديمقراطية الليبرالية المختلفة؟

إن المشترك بين المفاهيم الديمقراطية هو كونها ليبرالية، أي أنها تضع الإنسان في المركز وتعترف بكونه صاحب قدرة على اتخاذ قرارات تعتمد على التفكير. فالإنسان هو غاية وجود الدولة، وبالتالي يتوجب على الدولة تحقيق منفعة ورغبته من خلال ضمان حرياته وحقوقه.

تعود جذور الليبرالية كظاهرة سياسية إلى مجموعة تأسست في اسبانيا في عام 1810 وأطلقت على نفسها اسم "الليبراليون".

المفاهيم الثلاثة للديمقراطية بالمفهوم الواسع ومفاهيم الديمقراطية بالمعنى الجوهري (كفلسفة ونمط حياة) تنظر إلى الديمقراطية كقيمة ترتكز بحد ذاتها على قيم إنسانية واحترام حقوق الإنسان والالتزام بتحقيقها. ومع ذلك، فإن الديمقراطية الواسعة الجوهريّة تعتمد على الديمقراطية الضيقة الرسمية التي لا يمكن قيام نظام ديمقراطي بدونها. (المقصود لا يمكن أن تتوفر ديمقراطية جوهريّة بدون ديمقراطية شكلية)

ما هي أوجه الاختلاف بين المفاهيم الديمقراطية الليبرالية المختلفة؟

فيما يلي بعض المعايير لفحص أوجه الاختلاف بين المفاهيم الثلاثة:

- كيف يحقق الإنسان قدراته وحقوقه، حرياته وكفاءاته بأفضل صورة ممكنة؟

- ما هو موقف الدولة من هوية مواطنيها الشخصية والجماعية (عرقية، قومية، ثقافية ودينية)؟

- ماذا سيكون طابع الحيز العام في الدولة وكيف يتم تحديده؟

الحرية هي القيمة المركزية للمفهوم الليبرالي.

الحق في الحرية هو شرط أساسي لتحرر الإنسان من السلطة التعسفية/ الاستبدادية وهي ضرورية للحفاظ على وجود الإنسان... بحيث أنه لا يستطيع التخلي عن حريته إلا بفقدان حقه في المحافظة على وجوده في العيش" (ג'ון لוק, על הממשל המדיני, סעיף 23)

للإنسان حقوق لكن عليه واجبات والتزامات أيضا، حيث يحظر عليه الإساءة إلى أشخاص آخرين. لا يمكن فرض قيود على إنسان ما إلا عندما يشكل خطرا على حرية أشخاص آخرين. كما قال الفيلسوف الإنجليزي جون ستيوارت (1806 - 1873): "الغاية الوحيدة التي تبرر استعمال القوة الفرض والإكراه تجاه عضو آخر في جمهور متحضر هي منع الضرر عن الآخرين" (מיל, "על החירות" ע' 20)

1. المفهوم الليبرالي الفردي

أ. كيف يحقق الإنسان قدراته وحقوقه، حرياته وكفاءاته بأفضل صورة ممكنة؟

يضع هذا المفهوم حقوق الإنسان على رأس سلم الأولويات. يمكن تحقيق أكبر درجة من حقوق الفرد وحرياته، حسب هذا المفهوم، عند تعامل الدولة مع الإنسان كفرد. بعبارة أخرى، (المنفعة بالنسبة للإنسان هي منفعة شخصية)، فقد أقيمت الدولة من قبل المواطنين لحماية تحقيق حقوقهم وللحفاظ عليها.

ب. ما هو موقف الدولة الليبرالية - الفردية من هوية مواطنيها الشخصية والجماعية؟

إن الدولة لا تعبر أية أهمية للون المواطن: إنها حيادية فيما يتعلق بموقفها من هويات مواطنيها العرقية، القومية، الثقافية والدينية، فهي تعامل مواطنيها كأفراد فقط ولا تعبر أهمية للثقافات النابع من انتمائهم إلى شرائح سكانية مختلفة. مثلاً - لا يمنح إعفاء من قانون عام لمن ينتمي لشريحة يمس هذا القانون بها. مثلاً: عندما يمس أحد قوانين الدولة بمعتقدات دينية لإنسان ينتمي إلى هذه المجموعة الدينية، يجب على الإنسان إطاعة هذا القانون.

الدولة لا تعترف بحقوق المجموعة

قوانين الدولة لا تتماثل مع منظومة قيمية أو ثقافية محددة ولا مع قومية معينة. ولا تحدد وتفرض منظومة قيمية واحدة للجميع.

لقد تطور بين باحثي الليبرالية - من مؤيدين ومعارضين على حد سواء - توجه يعتبر الليبرالية نوعاً من "الحيادية" بين مفهوم منفعة الأفراد وهو بمثابة إعطاء أولوية لمصطلح "حق" الذي منحه لجميع أفراد المجتمع بصورة متساوية، بالمقارنة مع مصطلح "المنفعة"، الذي يمكن تفسيره بطرق مختلفة من قبل أفراد ومجموعات. الديمقراطية الليبرالية - المحايدة تبدو غير مكترثة بالتعهدات والتفضيلات الخاصة. (רות غبيزون، **إسرائيل كمדינה יהודית ודמוקרטיّة: מתחים וסיכונים**, ירושלים ובני ברק: מכון ואן לير והקיבוץ המאוחד, 1999)

ج. ماذا يكون طابع الحيز العام في الدولة الليبرالية الفردية وكيف يتحدد؟

يتكون المجتمع من مواطنين ينتظمون في مجموعات لبلورة مصالحها وتحقيقها. لا يوجد لدى عموم الناس تجانس فكري وثقافي هم معنيون برعايته وتشجيعه، وإنما يحاول كل مواطن تطوير مفاهيمه، مصالحه واحتياجاته عن طريق المشاركة في مواضيع مختلفة. هذه المجموعات المختلفة غير ثابتة وقد تتغير وتتصارح فيما بينها على توزيع الموارد لكي تنجح في تحقيق مصالحها. يحدد المواطنون رموز الدولة والحيز العام من خلال التكتل في اتخاذ القرارات والعمل معاً للتأثير.

لا شك بأنه يمكن أن تكون في الدولة مجموعات مبلورة من ناحية دينية، عرقية وأخرى في دولة ديمقراطية تتيح حرية التنظيم، إلا أن الدولة لا تقدم الدعم لمصالح هذه المجموعات.

هناك دول ليبرالية فردية تؤمن بمنظومة من القيم التي تحاول تدوينها، إلا أنها حيادية في موقفها من القيم الاجتماعية الثقافية التي تمثل المجتمع.

إن القاسم المشترك لكافة مواطني هذه الدولة هو المواطنة المشتركة، الدستور والقوانين.

نوع القومية الملائم للمفهوم الليبرالي الفردي - هو القومية المدنية¹. التسمية الأنسب للمفهوم الديمقراطي الليبرالي الفردي هي دولة القومية المدنية وذلك لأنها لا تتماثل مع مجموعة عرقية قومية، دينية أو ثقافية من مواطنيها، ولا تقدم الدعم لقيم خاصة لديهم. يجب الإشارة إلى أنه لا يكون المفهوم الديمقراطي ليبراليا فرديا في كل دولة ذات قومية مدنية.

كيف تسن الدولة قوانين متساوية وحيادية تجاه كافة المواطنين. كيف يمكن أن نضمن بأن لا تتأثر الدولة بالمصالح الشخصية للأشخاص الذين يسنون القوانين.

لتوضيح مصطلح "دولة قومية مدنية"، ارجعوا فصل "الفكرة القومية"

أجاب جون رولس عن هذا السؤال على النحو التالي: لتكن الحيادية القيمية والمصلحة الخاصة، إذا تم اتخاذ القرارات من "وراء الكواليس"، أي أن صاحب القرار لا يعرف ما هي مصالح الفرد، فلا يعرف إذا كان شابا أو عجوزا، معافى أو مريضا، رجلا أو امرأة، غنيا أو فقيرا. لكنه يعرف باقي الأشياء، كقوانين الطبيعة والاقتصاد، الظروف الاجتماعية والاقتصادية. وادعى رولس بأنه من خلال هذه الطريقة سوف يتم ضمان أكبر قدر من الموضوعية لدى صناع القرار الذين يسنون القوانين. يكون لكل إنسان الحق المساوي في نيل الحرية الأكبر والتي تتسجم مع الحرية التي يحظى بها الآخرون. (גיון רולס, תאוריה של צדק, למ' 60).

جون رولس (1921-2002)

فيلسوف أمريكي من كبار فلاسفة القرن العشرين. أشهر كتبه هو كتاب "نظرية العدل" "תיאוריה של צדק" الذي نشره عام 1971. وهو يتحدث عن العدل التوزيعي وكيفية تحديده، ويشرح بأنه لا يمكن تطبيق العدل التوزيعي مثلا: "من أجل توزيع كعكة ما فإن شخصا ما يقوم بقطع الكعكة فيما يحدد شخص آخر ما حجم القطعة التي يحصل عليها الآخرون".

- اشرحوا إجابة رولس عن هذا السؤال: كيف نضع قوانين متساوية وحيادية؟
- ما رأيكم بفكرة رولس؟ عللوا

وثيقة الحقوق في الدستور الأمريكي من عام 1791

الإضافة 1. لا يقوم الكونغرس بسن أي قانون بخصوص مأسسة الدين، أو حظر حرية ممارسة العبادة الدينية؛ أو حق الناس في التنظيم بصورة سلمية ومطالبتهم للحكومة بإصلاح الظلم والإجحاف.

2.... ممنوع فرض قيود على حق الناس في حيازة الأسلحة وحملها.

4. من حق الناس أن يكونوا محميين جسديا، وفي بيوتهم، وحماية شهاداتهم وأغراضهم من التفتيش والحجوزات... لا.ه. فريز'ט, החוקה האמריקאית, תל אביב: זמורה, ביתן, מודן, 1982, (למ' 157-158)

اشرحوا ما هو المفهوم الديمقراطي الذي تتضمنه وثيقة الحقوق الواردة في الدستور الأمريكي.

د. ما هي الانتقادات التي يوجهها المعارضون للمفهوم الليبرالي الفردي؟

- إن الدولة لا تستطيع أن تكون حيادية تجاه هوية مواطنيها وقيمها، وبالتالي فإنها تنمي قيما معينة على حساب قيم أخرى.

- المفهوم الليبرالي الفردي يعزز التزام الدول الديمقراطية تجاه الإنسان الفرد وليس تجاه كافة المواطنين او كمجموعة، وبالتالي فإنّ هناك خطراً بأن لا ترعى الدولة الشعور بالشراكة لدى المواطنين بصورة كافية.

- لا يوجد في مثل هذه الدولة الليبرالية الديمقراطية اعتراف بمجموعات عرقية - ثقافية، دينية وأخرى ولا إحقاق لحقوقها. يكمن في ذلك مس بإحقاق حقوق المجموعات، وخاصة حقها في الثقافة.

لا نجد على أرض الواقع دولاً تحقق هذا المفهوم. إن الدولة الأقرب من ممارسة هذا المفهوم بالفعل هي الولايات المتحدة التي تدعم مختلف أنواع الحريات مثل حرية المبادرات الاقتصادية، مع العلم بأن الدستور الأمريكي يتضمن وثيقة حقوقية تخصص مكاناً مركزياً لحريات الإنسان وحقوق الفرد. **

سؤال تفكيري:

قال الرئيس الأمريكي الأسبق جون كينيدي (1917-1963) "لا تسأل ماذا تستطيع
يجب ان تفعل دولتك من أجلك، بل اسأل نفسك ماذا يجب ان تفعل انت من أجل
دولتك".

هل تعبر مقولة جون كندي هذه عن مفهوم الديمقراطية الليبرالية الفردية؟

2 المفهوم الليبرالي الجمهوري² *

كلمة جمهورية مشتقة من الكلمة اللاتينية Respublica شأن الجمهور.

1. كيف يحقق الإنسان قدراته وحقوقه، حرياته وكفاءاته بأفضل صورة ممكنة؟

إن هذا المفهوم قريب من المفهوم الليبرالي الفردي، حيث يضع حقوق الإنسان
وحرياته في المركز، غير أن الإنسان، حسب هذا المفهوم، يعبر عن البيئة التي
ترعرع فيها، ولا يمكنه أن يحقق ذاته بأفضل صورة ممكنة إلا في إطار المجتمع، أو
المجموع. ويرى هذا المفهوم بأن الحياة بالنسبة للفرد لن تكون ذات معنى إلا إذا عبر
فيها عن قيمه وثقافته على المستويين الفردي والجماعي (في الحيز العام). بما أن
الحديث يدور عن نقطة انطلاق ليبرالية، فيتم التركيز على التزام الدولة بمصلحة
الفرد. لكن، إلى جانب ذلك، يدعي المفهوم الليبرالي الجمهوري بأن الفرد يستطيع
تحقيق منفعته بالانتماء الى المجموع (collective). وذلك بعكس المفهوم الليبرالي
الفردي الذي يضع الفرد في المركز. الدولة التي تعمل حسب قيم المفهوم الليبرالي
الجمهوري تحقق منفعة الفرد بحيث تحدد طابع الدولة حسب القيم المشتركة للجميع،
مما يعني أن المنفعة الشخصية تندمج مع "المنفعة المشتركة" لجميع أنحاء الدولة.

المفهوم الليبرالي الجمهوري مثله مثل المفهوم الفردي يتناول قدرة الأشخاص على
التعايش، أي أن هناك أهمية كبيرة للشراكة بين المواطنين³.

² هناك معان مختلفة لمصطلح الفكر الجمهوري وبعضها يتناقض مع البعض الآخر. وقد اخترنا تقديم معنيين اثنين فقط

³ جل غرون- ليبرليزيم: كשרים، הקשרים ביקורות، רעננה: האוניברסיטה הפתוחה، 2004 עמ' 233

ب. ما هو موقف الدولة الليبرالية الجمهورية من هوية مواطنيها الشخصية والجماعية؟

نقطة انطلاق المفهوم الليبرالي الجمهوري هي أن الدولة لها هوية ثقافية قيمية مشتركة تقوم بحمايتها ورعايتها.

لا ينحصر المفهوم الليبرالي الجمهوري بمعنى واحد بل له معانٍ مختلفة. إليكم فيما يلي معنيين منتشرين لهذا المفهوم:

المعنى الأول لهذا المفهوم - يحاول خلق هوية مشتركة لكافة المواطنين، بينما يتطرق المعنى الثاني إلى مجموعة الأكثرية الفعالة.

المعنى الأول:

"بما أننا نرى بأن كل دولة هي عبارة عن شراكة، وأن كل شراكة تستهدف التوصل إلى المنفعة الصالحة حيث يقوم الناس بما يقومون به للحصول على ما هو الأفضل بالنسبة لهم، وعليه فإذا تم توجيه كل التكتلات للحصول على المنفعة فإن التكتل الأسمى هو ما يُسمى الدولة". (أريستو - *بوليتيكا*, ص ٨, ٨, ٨, ٨)

تتطلع الدولة إلى خلق هوية مشتركة لمواطنيها، وهي تفعل ذلك من خلال الوسائل التالية: تحديد قيم وثقافة مشتركة: قوانين يسنها ممثلو المواطنين؛ جهاز تربوي يعلم الطلاب قيم دولتهم. وبالتالي فإن الدولة غير حيادية تجاه هوية مواطنيها كما يحدث في الدول التي تقدر المفهوم الليبرالي الفردي، غير أن أصول المواطنين العرقية، القومية والثقافية المتباينة هي شأنهم الفردي فقط ولا يؤثر ذلك على سن القوانين أو على تحديد السياسة العامة للدولة. فالدولة لا تمنح مواطنيها مجالاً للتعبير عن هويتهم المميزة ورغبتهم في المحافظة على ثقافتهم وقيمهم المختلفة، وهكذا يستطيع أبناء الأقليات المعنيون بالاندماج في "المنفعة المشتركة" عبر التنازل عن هويتهم الخاصة القيام بذلك بدون حدود أو قيود.

الدولة التي تؤيد المفهوم الليبرالي الجمهوري لا تعترف بحقوق المجموعة ولا تمول إحقاق حقوق مميزة لأبناء الأقليات، وذلك لأنها تتطلع إلى خلق هوية مشتركة لمواطنيها.

المعنى الثاني لهذا المفهوم:

تتعامل الدولة، في إطار هذا المعنى، مع هوية مواطنيها العرقية القومية والثقافية. لكن، بعكس المعنى الأول للمفهوم الليبرالي الجمهوري، فإن من يحدد هوية الدولة المشتركة هو الأكثرية العرقية الثقافية. قد تعترف الدولة غالباً بالهويات الخاصة لمجموعات لا تشكل جزءاً من الأكثرية الفعالة ومنحها حقوقاً جماعية لتجسيد خصوصيتها الثقافية، اللغوية والدينية بالإضافة إلى حقوق الإنسان. في الدول التي انتشر فيها هذا المعنى فإن أفراد مجموعات الأقلية لا يندمجون، غالباً، مع الأكثرية. وبالإضافة إلى ذلك فإن الدولة تستطيع عدم الاعتراف بالمجموعات وعدم منحها حقوقاً جماعية⁴.

بما أن "المنفعة المشتركة" هي مصطلح مركزي في إطار المفهوم الجمهوري فإن بعض المزايا الحسنة للمواطنين حسب هذا المفهوم هي إظهار المسؤولية تجاه "المنفعة المشتركة" ومساهمة المواطنين في تجسيد "المنفعة المشتركة". إن الدولة الجمهورية تقدر مساهمات المواطنين الذين يعملون على تحقيق "المنفعة المشتركة" لعموم المواطنين. الخطاب السياسي في الدولة الجمهورية يسعى إلى رعاية المزايا الحسنة لدى المواطنين (virtrue هو مصطلح أساسي في الثقافة السياسية الجمهورية)، من خلال التركيز بشكل خاص على وجود "واجبات" و"مسؤولية" من طرف المواطنين تجاه "المنفعة المشتركة". (منحם ماوتنر، "משבר הרפובליקניות בישראל"، משפט ואדם – משפט ועסקים، י"ד, תשל"ב, ספטמבר, 2112, עמ' 563)

- حسب كلام المؤلف، اذكروا ما هي الخصال الطيبة لدى المواطنين.

- اذكروا أمثلة للتعبير عن خصال طيبة لدى مواطنين في دولة إسرائيل.

⁴ منح الحقوق الجماعية ليس مقياساً لكون الدولة دولة ديمقراطية. راجعوا فصل "حقوق الإنسان"

ج. ماذا سيكون طابع الحيز العام في الدولة الليبرالية الجمهورية وكيف سيتحدد؟

حسب المفهوم الليبرالي الجمهوري فإن الدولة لها هوية ثقافية قيمية تؤثر على الحيز العام. في محاولة لخلق أمة مدنية مشتركة واحدة فإن الدولة ترعى لغة واحدة، ثقافة واحدة، منظومة رموز واحدة وهوية واحدة بحيث يتوجب على كل مواطن تذويتها حسب المعنى الأول، أما في المعنى الثاني فإن الحيز العام يتأثر بقيم الأكثرية.

من خلال تعاون الدولة مع مواطنيها فإنها تحدد منظومة القيم المناسبة، أي "المنفعة المشتركة"، فهي تعمل على تنمية قيم الاشتراك، المشاركة والمسؤولية السياسية لدى المواطنين وهي قيم حيوية وهامة لخلق شراكة وتضامن، مع العلم بأن الغاية هي تحديد "المنفعة العامة"، تعزيز المشاركة بينما الهدف هو خلق "مجتمع مدني".

إن وظيفة الدولة حسب المفهوم الليبرالي الجمهوري بالمقارنة مع وظيفتها حسب المفهوم الليبرالي الفردي (الذي يتوجب على الدولة حسبه المحافظة على حقوق الفرد)، هي وظيفة مزدوجة: المحافظة على حقوق المواطنين، من جهة، وتنمية القيم المشتركة من جهة أخرى. تعمل الدولة على تنمية التضامن المدني لتحقيق "المنفعة المشتركة". تتحدد "المنفعة العامة" بصورة مشتركة بين كافة المواطنين في دولة قومية مدنية أو بواسطة المجموعة القومية المهيمنة والمسيطرة في الدولة العرقية الثقافية.

يؤمن الجمهوريون بأنه لا يمكن وجود حياة بشرية ناجحة وحررة خارج المجتمع السياسي. وجود دولة ناجحة هو أمر يخص كافة أبناء المجتمع، أي أنه يتوجب على جميع أفراد المجتمع السياسي أن يكونوا مواطنين فعالين ومشاركين في الحياة العامة والسياسية. تتمثل هذه المشاركة في الدرجة الأولى بالاقتراع في الانتخابات الديمقراطية وبالعضوية الفعالة في أحزاب ومنظمات مختلفة لبلورة الحياة العامة. يسعى المفهوم الجمهوري الديمقراطي العصري إلى تنمية الوعي السياسي والمدني لكل أفراد المجتمع. أي الاعتراف بالحاجة إلى ضمان وجود الدولة وبأهمية وجود حيز عام متطور قانوني ونظامي وديمقراطي. الوعي المدني هام لأنه يغرس لدى المواطن المسؤولية تجاه المواطنين الآخرين وتجاه الحيز العام، ويغرس أيضا بين

جميع أفراد المجتمع السياسي انتماءً مدنياً متبادلاً.

(نير קידר, ממלכתיות: התפיסה האזרחית של בן גוריון, באר שבע וירושלים:
אוניברסיטת בן גוריון בנגב ויד בן צבי, 2009, עמ' 10-11)

- اذكروا ما هو المعنى الذي يوجه إليه الكاتب رسالته في المفهوم الجمهوري، وعللوا
إجابتكم.

نوع القومية الملائم للمفهوم الليبرالي الجمهوري

يتناسب كل واحد من معنيي المفاهيم الليبرالية الجمهورية المذكورين مع نوع مختلف من أنواع القومية. تسمية القومية المدنية تلائم النوع الأول بصورة أكبر ، إلا انه يوجه القومية المدنية نحو هوية جماعية، وذلك بعكس الليبرالية الفردية.

عندما يتداخل مفهوم المنفعة مع المواطنة المشتركة لكافة أبناء القومية سيكون المعنى الثاني هو الأنسب للقومية العرقية الثقافية بينما تكون "المنفعة المشتركة" الأفضل لمجموعة الأكثرية المهيمنة المكونة من قومية عرقية ثقافية.

نجد إلى جانب مفهوم الديمقراطية الليبرالية الجمهورية المفهوم الجمهوري غير الليبرالي، إذا كان التوجه الجمهوري الليبرالي يؤكد على التزام الدولة بمصلحة الفرد من خلال الاعتراف بأهمية المجموع، لأن المجموع ضروري للأفراد لتحقيق هوياتهم وحقوقهم بينما ينسب الفكر الجمهوري غير الليبرالي أهمية للدولة ذاتها، والتي هي غير نابعة من أكبر قدر لتحقيق مصلحة الفرد. قيمة المجموع في هذا السياق تفوق قيمة الفرد. إن هذا المفهوم بارز في نظرية روسو * الذي يتحدث عن السلطة لتحقيق "المنفعة العامة": "كل من يرفض الانصياع للإرادة العامة سيرغمه المجتمع للقيام بذلك. معنى هذا الأمر في نهاية المطاف، سيتم إرغام الفرد على أن يكون حراً، (يؤكد الفيلسوف هيغل في نظريته هذا المفهوم بوضوح).

د. ما هي الانتقادات الموجهة إلى المفهوم الليبرالي الجمهوري؟

في المفهوم الليبرالي الجمهوري - بمعناه الأول كانت المجموعات العرقية، القومية الثقافية والدينية التي تعيش في الدولة وغير شريكة في نفس "المنفعة المشتركة"، ستتضرر بسبب تنازلها عن هويتها الخاصة لغتها وثقافتها. تتم ممارسة الضغط، أحيانا، على مجموعات الأقلية لتندمج مع الأكثرية وهكذا فإن الأقلية الراغبة في الانفصال عن المجموع ستواجه صعوبة في الاندماج، مع الإشارة إلى أنه إذا شجعت الدولة ثقافة ما على حساب باقي الثقافات فإنها ستتمس عندها بالمساواة بين المواطنين.

* يميز روسو بين "المنفعة العامة" التي تشكل مجموع الرغبات الصالحة والإيجابية للمواطنين الذين يتطلعون إلى تحقيق أهداف مشتركة لصالح كافة المواطنين، وبين رغبة غالبية المجتمع والتي هي مجموع الرغبات الفردية، الأتانية لكل الأفراد والذي قد يؤدي إلى توترات وتنافس بين الأفراد.

* تحقيق "المنفعة العامة" يمس بحقوق الفرد - إذا كان هناك تصادم بين حقوق الفرد و"المنفعة المشتركة" للمجتمع كله، وذلك لأن إعطاء الأفضلية لثقافة ما يمس بحق أفراد المجموعات المميزة في الحصول على الثقافة.

* ماهية "المنفعة المشتركة"، في المعنى الثاني للمفهوم الليبرالي الجمهوري تكمن أساسا في تحقيق المنفعة لمجموعة الأقلية المهيمنة، وعليه فمن شأن المجموعات التي لا تنتمي إلى هذه الأكثرية أن تتعرض للمس. بعكس المعنى الأول للمفهوم الليبرالي الجمهوري المتبع في دولة قومية مدنية تدعى فيها الأقلية للانضمام إلى المجموع، فإنه من غير المسموح للأقلية، في المعنى الثاني، في دولة عرقية ثقافية، الانضمام إلى الأكثرية العرقية الثقافية. لكن، بما أن الدولة تدرك التباين بين مجموعة الأكثرية ومجموعات الأقلية فهي لا تتوقع من الأقلية الاندماج في الأكثرية والتنازل عن خصوصيتها الثقافية.

دول تطبق المفهوم الليبرالي الجمهوري

الفكر الجمهوري بمفهوم "المنفعة المشتركة" لكافة المواطنين هو الأقرب من التوجه المتبع في فرنسا التي تؤيد وجود لغة واحدة، ثقافة واحدة وهوية واحدة ومنظومة قيم واحدة يجب تعليمها لجميع المواطنين، وهي لا تعطي أهمية لحقوق المجموعة الاثنية، بل تشترط على الفرد قبول منظومة القيم المشتركة، اللغة والثقافة. وبهذه الطريقة فإن الفرد ينضم إلى المجموع - أي إلى الأمة. (نظرية فرن الانصهار).

على الرغم من كون فرنسا دولة علمانية فإن العطل الرسمية فيها متعلقة بالعام الميلادي ذاته مما يلزم أبناء الديانات الأخرى بتقديم تنازلات كبيرة. مثلاً، في الماضي كان اليهود مضطرين للعمل في أيام السبت وفي مناسباتهم الدينية، وحتى في يوم الغفران، وفي عام 1994 رفضت السلطات تغيير موعد الانتخابات المصادف في أول أيام عيد الفصح اليهودي. علاوة على ذلك فإن الدولة تنمي التاريخ والثقافة "الغالية" وتلزم كافة السكان حتى من أبناء المجموعات الأخرى بتعلم اللغة الفرنسية وأن يتعلموا الثقافة "الغالية" ويتعاطفوا معها*

* غالية - أطلق اسم "غالية" على الأراضي الفرنسية في غابر الأزمان، ولذا فإن الفرنسيين يربون أبناءهم في كنف التراث "الغالي".
"غالية" من القرن الثالث قبل الميلاد.

بما أن فرنسا لا تعترف بوجود مجموعات عرقية وقومية في نطاقها فهي لم توقع على الوثيقة الدولية لحماية حقوق الأقليات القومية. فضلاً عن ذلك، فقد أقر المجلس الدستوري الفرنسي الذي يشكل المحكمة الدستورية الفرنسية في عام 1999 بأن الوثيقة الأوروبية للغات الإقليمية هي وثيقة مناقضة للدستور الفرنسي⁵.

⁵ ألكسندر ياكوبسون وأمنون روبنشتاين، **إسرائيل ومسפחת העמים**، تل أبيب: شוקن، 2003، عم' 378

إن التوجه "الرسمي" المتبع في إسرائيل هو المفهوم الجمهوري بمعناه الثاني. مجموعة الأكثرية اليهودية في إسرائيل كدولة قومية عرقية هي المجموعة المهيمنة، حيث تعنى إسرائيل بتنمية ثقافة الشعب اليهودي ضمن مفهوم "المنفعة المشتركة"، غير أن إسرائيل لا تعمل على دمج أقليات في ثقافة الأكثرية المهيمنة، وإنما تعترف بحقها في المحافظة على خصوصيتها الثقافية، من خلال تطبيق منظومة تربية ممولة من قبل الدولة مثلاً⁶.

يمكن تقسيم "الرسمية الصهيونية" التي تُعْتَبَرُ حالة خاصة للفكر الجمهوري إلى ثلاثة عناصر...

الاعتراف بأهمية الحيز العام اليهودي... الاعتراف بطرق العمل الديمقراطية... والاعتراف بأهمية المشاركة في الحياة العامة ومسؤولية المواطن وانتمائه للجماعة السياسية ورفاقه المواطنين.

(أبي برألي ونير كيدر، "مמלכתיות ישראלית"، محקרי מדיניות 87, ירושלים: המכון לדמוקרטיה, 2011, עמ' 33).

- اشرحوا ما هي المعايير الواردة في القطعة لتعريف "الرسمية الصهيونية".
- هل تتناسب هذه المعايير مع المفهوم الجمهوري. عللوا.

⁶ راجعوا فصل "الأقليات"

3. المفهوم الليبرالي المتعدد الثقافات

1. كيف يحقق الإنسان قدراته وحقوقه، حرياته وكفاءاته بأفضل صورة ممكنة؟

بما أن الحديث يدور هنا أيضا عن مفهوم ليبرالي فإن من واجب الدولة حماية حقوق الإنسان وحرياته وحماية المساواة بين المواطنين. غير أن المفهوم المتعدد الثقافات يفترض بأن الإنسان لا يحتاج إلى حقوق مثل حرية التعبير فقط، بل إن هوية الفرد لا يمكنها أن تكون منقطعة عن الثقافة التي نشأ في كنفها، وبالتالي فقد تتحقق بأفضل طريقة ممكنة إذا عاش الشخص وتطور في إطار المجموعة الثقافية المميزة التي ينتمي إليها. الانتماء إلى مجموعة ثقافية، لغوية، أو دينية، هو أحد المركبات الحيوية في شخصية كل إنسان. وبالتالي فإن المنفعة للإنسان أن يكون جزءا من مجموعة ينتمي إليها من ناحية عرقية ثقافية.

ب. ما هو موقف الدولة الليبرالية المتعددة الثقافات من هوية مواطنيها الشخصية والجماعية؟

إن الدولة تتعامل مع هوية مواطنيها الشخصية وهويتهم الجماعية. لضمان استمرارية ثقافات المجموعات المختلفة في نطاقها، يتوجب على الدولة الاهتمام بصيانتها وحمايتها. المفهوم المتعدد الثقافات يكرس اهتماما كبيرا للمحافظة على خصوصية المجموعات الثقافية، وفي إطار هذا المفهوم فإنها تسمح لهذه المجموعات بالوجود والتطور ولا تسمح بتفوق ثقافة ما على ثقافة أخرى ولا تفضل منظومة قيمية معينة على منظومات أخرى. المجموعات متساوية مع بعضها البعض، ولكل واحدة منها الحق في المحافظة على خصوصيتها. وعليه فإن الدولة تعترف بحقوق المجموعات الموجودة فيها وتعمل على تحقيقها. الدولة لا تعترف فقط بالهوية الخاصة لكل واحدة من المجموعات التي تتركب طيفها البشري، وإنما تدير حوارًا خاصا يراعي احتياجاتها وخصائصها.

تماما مثل المفهوم الليبرالي الفردي الذي هو محايد ولا يتطرق إلى الهوية الثقافية الخاصة لمواطنيها، فإن المفهوم الليبرالي المتعدد الثقافات هو الآخر حيادي، فهو لا

يفضل ثقافة مجموعة ما على ثقافة أخرى. لكن، بعكس المفهوم الليبرالي الفردي فإن المفهوم المتعدد الثقافات يتطرق إلى الهوية الثقافية الخاصة لمواطنيه. بعبارة أخرى، فإن الدولة تدرك الفروق بين المجموعات الثقافية التي ينتمي إليها مواطنوها وتعترف بتجسيد حقها في أن تكون لكل منها ثقافتها الخاصة بها. حسب المفهوم المتعدد الثقافات فإن الدولة لا تخلق هوية جماعية واحدة، وإنما تهتم بالمحافظة على حقوق المجموعات المختلفة. المفهوم المتعدد الثقافات يمنح الشرعية للتعددية والتسامح، ولاستمرارية عيش المجموعات معا يتوجب عليها التعامل بتسامح مع خصوصية المجموعات الأخرى.

للشخص حق في الثقافة - ليس أي ثقافة وإنما ثقافتهم الخاصة بهم، حيث إن الثقافة في جوهرها تحتاج إلى مجموعة (...). وحسب رأينا، فإن حق الإنسان في الثقافة ينبع من حقيقة أن الهوية الشخصية تقف على رأس اهتمام كل إنسان، وبالتالي الأهمية التي يعطيها الفرد للمحافظة على نمط الحياة المقبول عليه، بما في ذلك العلامات الفارقة التي يعتبرها هو وزملائه في المجموعة الثقافية مركبات هويتهم المركزية. إن الثقافة المتعارف عليها والملائمة لوجهات نظر أبناء نفس الثقافة المذكورة هي الصياغة الأفضل في الأساس للحق في الثقافة.

(أبيشي مרגليت ومשה הלبرتل, "لينبرليزם והזכות לתרבות" אבי שגיא, מנחם מאוטנר ורון שמיר (עורכים), רב-תרבותיות במדינה דמוקרטית ויהודית, רעננה: רמות, תשנ"ח-1998, עמ' 93, 101)

- اشرحوا أهمية الثقافة للإنسان بموجب ما ورد في القطعة؟

ماذا سيكون طابع الحيز العام في الدولة المتعددة الثقافات وكيف يتم تحديده؟

ما يحدد طابع الحيز العام في الدولة هو التأثير المتبادل للمجموعات المختلفة فيها، وبواسطة خلق ثقافة سياسية مشتركة لكافة المواطنين من خلال الدستور. تستطيع المجموعات القومية والثقافية المحافظة على تراثها وتميمته إذا قامت الدولة بتخصيص الموارد لهذه المهمة.

نوع القومية الأنسب للمفهوم المتعدد الثقافات هو دولة ذات هوية قومية متعددة الثقافات⁷. وكما تعلمنا من قبل فإن دولة ذات هوية متعددة الثقافات تعترف بجميع المجموعات القومية والثقافية الموجودة في نطاقها وتنمي ثقافة هذه المجموعات، كما تعبر هوية الدولة عن المجموعات التي تعيش في نطاقها.

د. الانتقادات الموجهة للمفهوم الليبرالي المتعدد الثقافات

* الصعوبة في إيجاد نقاط مشتركة للمجموعات لضمان وجود دولة مستقرة.

* الخوف من المس بحقوق الإنسان عندما تتعارض رغبة المجموعة مع رغبة الفرد في المجموعة.

* الخوف من تفضيل ثقافة مجموعة ما أو مجموعات ما على ثقافة مجموعات أخرى.

* الصعوبة التي تواجهها الدولة والمجموعات التي تعيش فيها في تعاملها مع مجموعات غير ليبرالية وحققها في مواصلة وممارسة عاداتها وتقاليدها غير الليبرالية. مثلاً: هل تسمح الدولة المتعددة الثقافات بالمس بحق المساواة لنساء في المجموعة غير الليبرالية من منطلق مفهوم متعدد الثقافات، أو أن لا تتعامل بتسامح مع العادات غير الليبرالية الموجودة في تلك المجموعة وتطالب بمعاملة متساوية مع

⁷ راجعوا فصل "الفكرة القومية" حول الدولة المتعددة الثقافات

النساء في المجموعة من منطلق فلسفة حياتية ليبرالية. (مثالاً: تطبيق قانون مساواة المرأة).

دول تطبق المفهوم الليبرالي المتعدد الثقافات

تُعتبر كندا مثالاً لدولة متعددة الثقافات حيث كانت قد سنت قانون التعددية الثقافية الذي يمنح الكنديين في الشطر الانجلوسكسوني تعلم وتنمية اللغة الإنجليزية، ويمكن الفرانكفونيين (الفرنسيين) في إقليم كويبك من المحافظة على لغتهم الفرنسية والاسكيمويين والهنديين أن يحافظوا على ثقافتهم الخاصة بهم وتنميتها. غير أن هذا التقسيم الثقافي واللغوي من شأنه المس بحقوق الإنسان. مثلاً، يتوجب على المواطن حتى إذا لم يكن من ناطقي الفرنسية، في إقليم كويبك الذي تهيمن عليه الثقافة الفرانكفونية، أن يرسل أولاده إلى مدرسة يتزعرع طلابها على قيم هذه الثقافة، ولا يُعفى من ذلك إلا مواطنون قدامى ناطقون بالإنجليزية حيث يُسمح لهم بإرسال أولادهم إلى مدارس يتم التدريس فيها بالإنجليزية⁸. بعبارة أخرى، لا يُسمح للأهالي في إقليم كويبك باختيار الجهاز التربوي والثقافي لتعليم أولادهم. يذكر أن استراليا ونيوزلندا أيضاً أعلنتا بأنهما دولتان متعددتا الثقافات.

إجمال

استعرضنا في هذا الفصل ثلاثة مفاهيم ديمقراطية ليبرالية نظرية.

يُوجّه إلى أنصار المفهوم الليبرالي الفردي السؤالان: كيف يتم تجسيد حقوق المواطنين بالطريقة الأنسب؟ وماذا يكون موقف الدولة من هوية مواطنيها؟، فيجيبون بالقول: "الدولة التي تتعامل بصورة فردية مع كل مواطن فإنها تحقق منفعته بأفضل طريقة ممكنة". يوجّه أنصار المفهوم الليبرالي الجمهوري الانتقادات إلى المفهوم الليبرالي الفردي ويرون بأن "منفعة الفرد متعلقة بمنفعة الجمهور بكامله أو بمنفعة

⁸ صحيح أن المحكمة الكندية العليا رفضت التشريع في هذا الموضوع من منطلق تعارضه مع وثيقة حقوق الفدرالية الكندية. ومع ذلك، سنّ برلمان إقليم كويبك القانون من جديد معتمداً على بند رقم 33 من الدستور والذي يتيح "تجاوز" قرارات المحكمة في قيود جوهريّة وإجراءات معينة (آدم دنال، مدينة يهودية ودموقراطية: مبسّر ربّ ثرבותي، يروشلیم: המכון הישראלי לדמוקרטיה، 2003، عم' 82)

الأكثرية". في المقابل، يعتقد أنصار المفهوم الليبرالي المتعدد الثقافات أن "حقوق الإنسان تتجسد بأفضل صورة ممكنة فقط في الدولة التي تمنح حق الوجود الثقافي المنفصل الذي ينمي ويمول الخصوصية الثقافية التي تتعامل مع كل مجموعة حسب احتياجاتها والتي تمكنهم من التأثير على الحيز العام". لكل واحدة من هذه الطرق إيجابياتها وسلبياتها، فكل دولة تقرر اتباع المفهوم الديمقراطي الليبرالي الأنسب لقيمها، لطابعها، لتركيبها الديمغرافية ولثقافتها السياسية. نجد في غالبية الدول العرقية الثقافية والمدنية مزيجا من بعض المفاهيم الديمقراطية الليبرالية المختلفة من خلال التركيز على إحداها. أما فيما يتعلق بالقضايا التي يختلف الجمهور بصددها فيمكن الاستماع إلى ادعاءات وتعليقات تعتمد على مفاهيم ديمقراطية ليبرالية تعلمناها في هذا الفصل⁹.

تمارين

1. في فرنسا سن "قانون الحجاب" أو حسب اسمه الرسمي "قانون العلمانية والرموز الدينية البارزة في المدارس" وبدأ سريان مفعوله في شهر أيلول من عام 2004. وهو قانون يحظر ارتداء ملابس، قلادات وملبوسات أخرى ذات طابع ديني بارز في المدارس الرسمية، في المؤسسات العامة وفي الجامعات. والمقصود: أي مؤشر ديني: غطاء رأس إسلامي، "كيبا" يهودية أو تعليق صليب.

أ. اذكروا ادعاءات مؤيدة وأخرى معارضة لـ "قانون الحجاب".

ب. اذكروا بخصوص كل واحد من التعليقات التي ذكرتموها: هل يعبر عن المفهوم الليبرالي: الفردي، الجمهوري أو المتعدد الثقافات. عللوا إجاباتكم.

2. استعرضوا مبدأ "الإجماع"، واشرحوا كيف تعبر الديمقراطية الجمهورية الليبرالية عن هذا المبدأ.

⁹ راجعوا فصل "المواقف".

3. عائلة عربية تعيش في إحدى المدن المختلطة التي يعيش فيها عرب ويهود طلبت من البلدية الموافقة على تعليم ابنها في صف بستان يهودي، وذلك بعكس سياسة البلدية التي تسجل الأولاد العرب في الصفوف العربية والأولاد اليهود في الصفوف اليهودية من منطلق إدراكها لوجود تباين فيما بينهم. وقد ادعى الأهل بأنهم يفضلون أن يتعلم ابنهم في صف يهودي ومدرسة يهودية وذلك ليتمكن من تعلم العبرية المتقنة، فيستطيع عندما يكبر أن يندمج في التعليم والعمل بصورة مثالية.

أ. ما هو المفهوم الديمقراطي الذي يتجسد في سياسة البلدية؟

ب. ما هو المفهوم الديمقراطي الذي يتجسد في طلب العائلة؟

4. أولاد الايميش

عائلة تنتمي إلى فرقة الايميش في ولاية فيسكونسين في الولايات المتحدة الأمريكية رفضت إرسال ابنتها التي كان عمرها أكثر من 14 عاما إلى المدرسة، وبالتالي فقد خالفت القانون الذي يفرض التعليم الإلزامي على أولاد حتى سن 16 عاما. وادعى الأهل أن الأولاد في هذه السن وبناء على عقيدتهم الخاصة يجب أن يتعلموا خلال العمل وليس في المدرسة. بالإضافة إلى ذلك، اعتمد الأهل على الحرية الدينية التي يمنحها الدستور الأمريكي لهم. وذكروا بأن إرسال ابنتهم إلى المدرسة قد يهدد تربيتهم الدينية. واعترفت المحكمة بطلب الأهل وذكرت في تعليقات الحكم، من بين ما ذكرته، بأن "طريقة الحياة التقليدية التي يعيشها أبناء الايميش ليست مجرد تفضيل شخصي، وإنما هي عقيدة دينية عميقة مشتركة للمجموعة ومرتبطة بصورة وثيقة بالحياة اليومية"، وعليه فإن وجهة نظر "المجموعة المنظمة" إلى جانب العقيدة الدينية العميقة تغلبت على مصلحة الدولة التي تفرض التعليم الإلزامي على الأولاد

(איייל בנבנישתי, "ההגנה על קהילות מיעוטים בבית המשפט", פסק הדין ויסקונסין נגד יודר 1972, (WISCONSIN V YODE)

أ. اذكروا ما هي القيم المتناقضة في قضية أبناء الايميش.

ب. اشرحوا تعليقات المحكمة التي اتخذت قرارا لصالح الأهل.

ج. اذكروا واشرحوا ما هو المفهوم الديمقراطي (الليبرالي: الفردي، الجمهوري أو المتعدد الثقافات) الذي اعتمدت عليه المحكمة في قرارها. اشرحوا كيف عبرت القطعة عن هذا المفهوم.

5. طرَحَ مشروع قانون يلزم جميع المؤسسات التربوية في البلاد بما في ذلك العرب والحريديم بأن يتعلموا جميع المواد الجوهرية المقررة في المنهاج.

ما هي الادعاءات المؤيدة والمعارضة لتدريس المواد الجوهرية المقررة في جميع المؤسسات التربوية في البلاد حسب كل واحد من المفاهيم الديمقراطية الليبرالية.

مهمة:

نلمس في المجتمع الإسرائيلي جدلا حول قضية "المساواة في العبء العسكري". ما هي الادعاءات المؤيدة والمعارضة لتجنيد الحريديم والعرب من وجهة نظر فردية، جمهورية ومتعددة ثقافات.

الدولة المتعددة الثقافات هي دولة تعرّف هويتها حسب مختلف المجموعات التي تعيش على أراضيها. وذلك بعكس النهج المتعدد الثقافات الذي يعترف بحقوق مجموعات ثقافية في حماية ثقافتها. يمكن تطبيق هذا النهج في دول قومية عرقية ثقافية، مثلا، دول تعترف بحقوق المجموعات الموجودة في نطاقها وتمكنها من المحافظة على خصوصيتها، وفي بعض الأحيان عبر تمويل الثقافة المتميزة. لكنها لا تعرّف هويتها حسب ثقافة تلك المجموعات، وإنما حسب هوية الأكثرية العرقية القومية الثقافية.

كاريكاتير من كندا. الفسيفساء الثقافي 1911

